الحروف العربية

تاريخها وتطورها ومخارجها

تأليف

أ.د. لعبيدي بو عبد الله

رئيس قسم اللغة العربية

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة)

أ. أحمد محمد الدماطي

محاضر – مركز اللغات

الجامعة القاسمية

الشارقة (الإمارات العربية المتحدة)

١٤٤٥/٢٠٢٣م

الحروف العربيّة: تاريخها، وتطوّرها، ومخارجها

أ.د لعبيدي بوعبدالله و أ / أحمد محمد الدماطي

أ.د. لعبيدي بوعبدالله

رئيس قسم اللغة العربية – جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

البريد الإلكتروني: Labidi.bouabdallah@mbzuh.ac.ae

أ. أحمد محمد الدماطي محاضر – مركز اللغات

الجامعة القاسمية – الشارقة – الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: aeldamaty@alqasimia.ac.ae

ملخص:

يتناول هذا البحث –بمنهج وصفي تحليلي– موضوع الحروف العربية في رحلتها التاريخية الأثريّة، من خلال تتبع نشأة الكتابة العربية، وهنا تبرز عدة نظريات، هي: التوقيفية، الاصطلاحية، الشمالية (الحيرية)، الجنوبية (الحِمْيرية)، وأخيرًا النظرية الحديثة.

كما يحاول الوقوف عند قضية تطور نظام نقط الحروف ورموز تشكيلها، وكذا طرق ترتيبها المتنوعة. والجهود التي بذلها اللغويون القدامى في ذلك، بدءًا من أبي الأسود الدؤلي؛ فنصر بن عاصم ويحيى بن يعمر؛ ثم الخليل بن أحمد الفراهيدي.

كما يتناول خصائصها الصوتية من حيث مخرج كلّ حرف –في ضوء ما ذكره الخليل وتلميذه سيبويه–؛ بوصف الحرف رمزًا غرافيًّا محدَّدًا يدل على صوت لغوي محدَّد. وكل ذلك التناول بتركيز غير مخلٍّ، وتبسيط غير مملٍّ، بحيث يُقدَّم كل عنصر مما سبق ذكره بما يعطي الصورة الواضحة لما يتعلق بالحروف العربية؛ اعتمادًا على المصادر والمراجع المتخصصة الموثوقة.

الكلمات المفتاحية:

الحروف العربية – تاريخ الكتابة العربية – النَّقط – التشكيل – مخارج الحروف.

The Arabic Alphabet:

Its History, Development of Characters, and Points of Articulation

Labidi Bouabdallah & Ahmed Eldamaty

Labidi Bouabdallah–Arabic language department – Mohamed bin Zayed for humanity science university,

Labidi.bouabdallah@mbzuh.ac.ae

& Ahmed Eldamaty

Languages center, Al Kasemeya university, Al Shareka, UAE.

aeldamaty@alqasimia.ac.ae

Abstract

This research uses a descriptive and analytical approach to address the subject of the Arabic alphabet in its historical context and through an archaeological journey. It does this by tracing the origin of Arabic handwriting. As the journey develops, several theories emerge, namely: *tawqīfiyyah*, idiomatic theory, *ḥīriyya (the Northern theory)*, *ḥimyariyya (the Southern theory)*, and finally, the Modern Arabic theory.

It also briefly covers the formation of characters and the development of the dot system. The research highlights the initial efforts of the ancient Arab linguists and their arrangements and combinations of these characters and dots. It starts with *ʾabu l–ʾaswad ʾad–duʿali; nasru bnu ʿaṣim* and *yaḥya bnu yaʿmur*; Then *ʾal–xalīlu bnu ʾaḥmad ʾal–farāhīdī*.

It also deals with phonetic characteristics in terms of the point of each articulation. It provides descriptions of consonants in terms of specific graphic symbols, with each one indicating a specific phoneme in light of what *ʾal–xalīl* and his student *sībawayh* mentioned. The research is delivered in a simplified, engaging way. Each element of the aforementioned is presented in a way that gives a clear picture of how it relates to the Arabic alphabet, and it is all based on reliable, unique sources and references.

Keywords: Arabic alphabet – history Arabic alphabets –dots – shape – points of articulation

المقدمة

إن ظاهرة الكتابة العربية من الظواهر التي أثارت اهتمام الباحثين في مجالات متعددة ومتنوعة، تاريخية أثرية وفنية جمالية ولغوية وفلسفية وحضارية بشكل عام، ورغم البون الموجود بين هذه المجالات كالتاريخ وعلم الجمال، فإن هذه الظاهرة استطاعت أن تقرب بينها، وتنسج حزمة من الخيوط –مهما كانت رفيعة– لتجعل من الظاهرة موضوع دراسةٍ بوصف الظاهرة واقعا تاريخيا ولغويا وجماليا –يتطلب تقصيا لمعرفة نشوء الكتابة ورحلتها عبر الزمن–، واكتشاف أنظمتها الغرافية، ومعرفة الضوابط المحددة لبنى تلك الأنظمة والأنساق، واستقراء وضعيات الحروف وعلاقة بعضها ببعض، واستنباط قواعدها الإملائية وملامحها الفونولوجية وجوانبها الجمالية والفنية. وبين مخارج هذه الحروف.

أهمية البحث:

يأتي البحث الحالي لتناول موضوع الحروف العربية، ويربط بين رحلتها التاريخية الشاقة والشيّقة، التي أنتجت لنا الحروف المستعملة في نظام الكتابة العربية، وبين ما ظهر من رموز لضبط الصوائت، وهي جوانب لا نجدها في المصادر القديمة والمراجع الحديثة إلا منفصلة، وموزعة بين مصادر التاريخ القديم والآثار، ومصادر فقه اللغة وأصولها، ومصادر علم الأصوات الفيزيولوجي والفونولوجي.

الإشكالية:

تثير الدراسة الحالية جملة من التساؤلات تتعلق بالجوانب المفهومية للحروف العربية، والأبعاد التاريخية المتعلقة بنشأتها، ومميزاتها الصوتية، من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- كيف يمكن تحديد مفهوم للحروف العربية في مقاربة لسانية؟
- وكيف نشأت الحروف العربية؟

- كيف التأمت الأنساق الغرافية في نظام الكتابة العربية، من نقط وشكل ..إلخ؟
- ما مخارج الحروف العربية، التي تحدد خصائصها الفونولوجية، وتميزها عن باقي الأنظمة الصوتية؟

أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث الحالي في الآتي:

– تقديم تعرف واف للكتابة والخط والحرف من منظور لساني بعد تعقب التعريفات التي قدمها القدامى.

– الوقوف عند نشأة الحروف العربية، وفق النظريات المتنوعة التي تناولت الظاهرة، وأدلة كل نظرية.

– الكشف عن نظام الكتابة بما يتضمنه من عناصر بنيوية لها دلالاتها التمييزية أثناء التشكيل الغرافي.

– تناول الخصائص الصوتية للحروف العربية، وأبرزها: المخارج التي تعطي القيمة الفونولوجية للصوامت في النظام الصوتي للغة العربية.

منهج البحث وخطته:

ولمعالجة التساؤلات السابقة الذكر، فقد انتهج الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، ومحاول الإجابة عنها وفق الخطة الآتية:

مقدمة:

المبحث الأول: الحروف العربية: تعريفها، وتاريخها.

المبحث الثاني: تطور نظام الحروف العربية: النقط والتشكيل.

المبحث الثالث: مخارج الحروف العربية.

خاتمة:

المبحث الأول

الحروف العربية: تعريفها، وتاريخها

تشترك حروف الكتابات البشرية في ما لحقها من تطور عبر التغييرات التي طرأت عليها عبر مراحل تاريخية مختلفة، وبما تحققه من وظائف تسجيلية وتواصلية: في استخدامها في التوثيق، وفي التواصل اللغوي المكتوب. وتنفرد الحروف العربية في هذا كله بطبيعة رحلتها التاريخية التي مرت بها، وبما تحققه – أثناء العملية التواصلية– من وظائف لغوية وجمالية. بالإضافة إلى طبيعة نظامها الغرافي المتعلق بالنقط والتشكيل، وطبيعة مخارجها الصوتية، وهذا ما سنبينه من خلال هذا البحث.

المطلب الأول: تعريف الحروف العربية

قبل أن نسوق تعريفها، لا بد من الإشارة إلى أن المصادر التراثية تستخدم مصطلح الحروف والخط (أو الخطوط) للدلالة على المفهوم نفسه، فالحرف الوحدة الأساسية لتشكيل الخط؛ أو بعبارة أخرى: إن مجموع الحروف هو الذي يشكل لنا خطًّا، والعلاقة بينهما كالعلاقة بين الصوت اللغوي (Phoneme) والكلام (Speech).

أوَّلًا – لغةً: الحرف في المفهوم اللغوي: طرَف الشَّيء، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ**﴾ [الحج: ١١].

وأما **الخط لغةً**: فهو الطّريقة المستطيلة في الشّيء، والجمع خطوط وأخطاط؛ فيقال: "الزم ذلك الخطّ ولا تحد عنه"؛ أي: الطّريق.[١] وهو بالجملة مرادف لمعاني: التّحرير، التّدوين، الرّسم، الرّشم، الرّقم، الزّبر، السّطر، الكتابة.[٢]

ثانيًا– اصطلاحًا: عند استقراء المصادر للبحث عن تعريف اصطلاحي، فإننا نجدها تنقسم إلى قسمين:

١– تعريفات من منظور تراثي تقليدي.

٢– تعريفات من منظور لساني حديث.

١– **التعريفات التقليدية**: اهتمت بتعريف الخط –بوصفه أداة و/ أو علمًا–، ويأتي ذكر الحروف في سياق تلك التعريفات؛ لأنه–كما سبق– متضمَّن فيها، ومن جملة تلك التعريفات نذكر ما يأتي:

أ– تعريفات العلماء العرب:

تعريف ابن الأكفاني (ت٧٤٩هـ): «الخط هو علم تتعرّف منه صُوَر الحروف المفردة، وأوضاعها، وكيفيّة تركيبها خطًّا، وما يكتب منها في السّطور؛ وكيف سبيله أن يكتب، وما لا يكتب، وإبدال ما يبدل منها، وبماذا يبدل»[٣].

١– ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، (خطط).

٢– ينظر: المصدر نفسه، المواد: (حرر)، (دون)، (رسم)، (رشم)، (رقم)، (زبر)، (سطر)، (كتب).

٣– ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد: في أنواع العلوم. تح: عبد المنعم محمد عمر، مراجعة: أحمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص١٢٤.

تعريف ابن خلدون (ت٨٠٨هـ): «هو رسوم وأشكال حرفيّة تدلّ على الكلمات الدّالّة على ما في النّفس»[١].

تعريف الزرقاني (ت١٩٤٨م): «الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز»[٢].

إنّ هذه التّعاريف تتناول الخطّ من منظور جمالي وتواصلي، من حيث وظيفته أو باعتبار شكله أو قواعده. ويرى أحد الدارسين بأن: «هذه الأوصاف مجتمعة تفي بتعريف تامّ بالخطّ الذي نحن بصدده»[٣].

ب- التعريفات الأجنبية:

تعريف إقليدس (ت٢٦٥ق.م): عرَّف الخط بقوله: «الخطّ هندسة روحانيّة وإن ظهرت بآلة جسمانيّة»[٤].

تعريف روبير أوليفو (Olivaux, R) (١٩٩٢): «الكتابة مجموعة علامات مرمّزة ... »[٥].

١- ابن خلدون، عبد الرّحمن، المقدمة، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ص٧٤٤.

٢- الزّرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن. تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ٣١٣/١.

٣- شريفي، محمد، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من ق٤ إلى ١٠هـ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الرغاية، الجزائر، د.ط، ١٩٨٢، ص١٨.

٤- الصّولي، أبو بكر، أدب الكتّاب. تصحيح وتعليق: محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، مصر، د.ط، د.ت، ص٦. وهذا التعريف من أشهر العبارات التي تتضمنها كراسات تعليم فن الخط العربي.

5 – Olivaux, R. Pédagogie de l'écriture et graphothérapie. Préface de Peugeot, J. Masson, Paris, Milan, Barcelone, Bonn. 2ème tirage, 1991, pIII.

الملاحظ من خلال هذا التعريف (الفرنسي) أن هنالك خلطًا في استخدام المصطلح (Ecriture) لمفهومي الخطّ والكتابة. حيث إن الخط هو كيفيّة الكتابة مع مراعاة المقاييس الفنية والجماليّة، بخلاف الكتابة فهي أداة لنقل المعاني.

تعريف جاكلين بوجو (Peugeot.J) (١٩٩١): «الكتابة نشاط خاص يجسِّد اللغة المنطوقة... تستند إلى إعادة تشكيل الرموز، وتبقى متاحة للقراءة».[١]

٢- الحروف في المنظور اللساني الحديث:

إذا كان اللسانيون قد بينوا بأن اللغة -في جانبها المنطوق (الصوتي)- تتألف من مجموعة من الرموز (Signs)، وكل علامة تتألف من مقاطع صوتية (Syllables) قابلة للتقطيع، وكل مقطع صوتي يتألف من وحدات صوتية (Phonemes)، كما نجد في تلك الرموز وحدات نحوية وصرفية (Morpheme)، ووحدات معجمية (Lexemes) -فإنها في جانبها الشكلي أو الغرافي (Graphic) تتألف من رموز خطية، مؤلفة من مجموعة من الغرافيمات (Graphemes)، التي هي بمثابة الوحدات الخطية الدالة الصغرى، متمثلة في: الحروف، والنقاط، والتشكيل (الحركات، السكون، الشدة، التنوين... إلخ). وعلى هذا الأساس اللساني يمكننا أن نصوغ للحروف التعريف الآتي: "الحروف هي مجموعة من المقاطع الخطية (الغرافية) المتكونة من وحدات خطية (غرافية)".

أو بعبارة أخرى موجزة: "الحروف: رموز (أو أشكال) مخصوصة تدل على أصوات لغوية مخصوصة". وهو تعريف يمكن أن ينطبق على جميع حروف الكتابات البشرية، ومنها الكتابة العربية التي نحن بصددها.

1 – Peugeot.J, 1991, p7.

المطلب الثاني: ترتيب الحروف العربية:

خضعت الحروف العربية عبر العصور إلى عدة ترتيبات، نوردها في ما يأتي:

أوَّلًا- الترتيب الأبجدي:

وقد سُمّي كذلك نسبةً إلى حروف لفظ (أبو جاد)[١]. وقد كانت الحروف الأبجدية تتألف في بادئ الأمر من ٢٢ حرفًا، وكانت تنقصها ستة حروف (ث، خ، ذ، ض، ظ، غ)؛ ولم يذكرها العرب لأن الحروف لم تكن معجمة. ولما نقطت الحروف فيما بعد على يد نصر بن عاصم (ت٨٩هـ) ويحيى بن يعمر (ت١٢٩هـ) ألحقوا (ثخذ وضظغ) بالأبجدية وسموها "الروادف". وقد أعطى العرب هذه الحروف قيمةً حسابية[٢]، ويُسمّى "حساب الجُمَّل".

ونجد في هذا الترتيب طريقتين:

١- **طريقة ترتيب المشارقة:** وتُرَتَّب وفقه على النحو: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ.

١- تذكر المصادر أن ترتيب هذه الحروف مأخوذة من (أبو جاد)، (هواز)، (حطي)، (كلمن)، (سعفص)، (قرشت) وهي -كما سيأتي في النظرية الاصطلاحية- أسماء لملوك مدين. ينظر: الصولي، أدب الكتّاب، ص٢٩. النحاس، أحمد بن محمد أبو جعفر، عمدة الكتّاب. تح: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، والجفان والجابي للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٤، ص٧٠. القلقشندي، أحمد بن علي أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، د.ط، د.ت، ج٣، ٣/ ٢٤.

٢- ينظر: يعقوب، إيميل، الخط العربي: نشأته تطوره، مشكلاته، دعوات إصلاحه، جروس برس طرابلس، لبنان، د.ت، ص٧٧.

٢- طريقة ترتيب المغاربة: وتُرتب وفقه على النحو: أبجد، هوز، حطي، كلمن، صعفض، قرست[١]، ثخذ، ظغش[٢].

ثانيًا: الترتيب الألفبائي:

هو من وضع نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني أيام الحجَّاج بن يوسف (ت٩٥هـ)، وقد اتَّبعا في ترتيبها الترتيب الأبجدي مع مراعاة تجميع الحروف المتشابهة.[٣] فكان ترتيبها المعروف إلى اليوم على النحو: (ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي، ء).

وللمغاربة ترتيب مختلف، فهو عندهم:(ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، لا، ي،ء)[٤].

ثالثًا: التَّرتيب الصَّوتي:

هو من وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، وهو الذي اعتمده في

١- أوردها الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، في: المحكم في نقط المصاحف. تح: عِزّة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبعة مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، د.ط، ١٩٦٠، ص٣٤ بلفظ: "قريسيات".

٢- ينظر: البابا، كامل، روح الخط العربي، دار لبنان للطباعة والنشر، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص٣١. والتازي، عبد الهادي، ترتيب الحروف الأبجدية بين المشارقة والمغاربة، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ج٥٦، بحوث مؤتمر الدورة ٥١، ص١٩٧ وما بعدها.

٣- ينظر: يعقوب، إيميل، الخط العربي، ص٧٨.

٤- ينظر: البابا، كامل، روح الخط العربي، ص٣١.

ترتيب المادة اللغوية في معجمه (العين)[١] –كما سيأتي–، وترتيب الحروف عنده علـى النَّحـو: (ع، ح، هـ، خ،غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، ء)

ثم رتَّبها تلميذه سيبويه (ت١٨٠هـ)، فوافقه في بعضها وخالفه في مواضع، وترتيبها عنده: (ء، ا، هـ،ع، ح، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ت، ز، س، ص، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و، نْ).

المطلب الثالث: تاريخ الحروف العربية:

مثلما سبقت الإشارة إليه، فإن ما تضمنته المصادر عن تاريخ الحروف العربية هو ما ذُكِر عن تاريخ الخط العربي، وعند استقراء المصادر فإنها تذكر آراء متنوعة، يمثّل كل رأي منها نظرية، وهذه النظريات، هي:

١- النظرية التّوقيفيّة:

يرى أصحابها بأنّ الخطّ توقيف من الله وإلهام منه، علمّه آدم عليه السلام. وأبرز من مثّل هذه النّظريّة أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، حيث صرّح قائلًا: «والذي نقول فيه: إنّ الخطّ توقيف»[٢].

وقد أبطل ابن خلدون هذا الرّأي؛ حيث يقرّ بـ: «أنّ الخطّ من جملة الصّنائع المعاشيّة، فهو على ذلك ضرورة اجتماعيّة اصطنعها الإنسان ورمز للكلمات

١- كتاب العين. تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، د.ت، ج١.

٢- ابن فارس، أحمد، الصّاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف للطّباعة والنّشر، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص٣٩.

المسموعة. (...) والكتابة لهذا السّبب تنعدم مع البداوة وتكتسب بالتّحضّر، لا يصيبها البدو عادةً إلّا مقيمين على تخوم المدينة»[١].

٢- النّظريّة الاصطلاحيّة:

يرى أصحابها بأن الخطّ العربيّ اصطلاح، أي من اختراع أنبياء ورسل أو غيرهم ممّن لهم مراكز مرموقة[٢]. ومعنى الاصطلاح أنّهم اتّخذوا أصواتًا ورمزوا إليها برموز، وشكّلوا بذلك الحروف المستعملة، ورتّبوها في مركّباتهم اللّغويّة. فقد أرجع بعضهم أصل الخطّ إلى كثير من الأنبياء والشّخصيّات مثل: آدم عليه السلام، وإدريس عليه السلام، وحِمْيَر بن سبأ، وقيل: إن من وضع الحروف (أبو جاد) و(هواز) و(حطي) و(كلمن) و(سعفص) و(قرشت) وأنهم ملوك مدين هلكوا يوم الظلة وكلمن رئيسهم.[٣]، وقيل غير ذلك.

٣- النّظريّة الشّماليّة (الحيريّة):

ملخّص هذه النّظريّة حسب المؤرخين –وعلى رأسهم البلاذريّ (ت٢٧٨هـ)– أنّ خطّهم الحجازيّ مأخوذ من أهل الحيرة.[٤] ويكاد يجمعون على أنّ الخطّ دخل مكّة بواسطة حرب ابن أميّة الذي تعلّمه من عدّة أشخاص في دومة الجندل[٥].

١- ابن خلدون، المقدمة، ص٧٤٦.

٢- ينظر: البياتي، حسن قاسم حبش، رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص١١.

٣- ينظر: ابن عبد ربّه، أحمد، العقد الفريد، مطبعة لجنة التأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، د.ط، ١٩٤٤، ١٥٧/٤. القلقشندي، صبح الأعشى، ٣/ ٩.

٤- البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٨٧، ص٦٥٩.

٥- ينظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ص٧.

٤- النّظريّة الجنوبيّة (الحِمْيَريّة):

يرى أصحابها –ومنهم ابن خلدون–[١] بأنّ الخطّ العربيّ مشتقّ من المسند الحِمْيريّ. ويرى إبراهيم جمعة بأنّ أصحاب هذا الرّأي لا يستندون إلى دليل مادّيّ؛ إذ ليس هناك علاقة ظاهرة بين خطوط حِمْيَر والخطّ العربيّ[٢].

وقد أثبتت الدّراسات الأثريّة إسراف هذه النّظريّة في الخطإ. وابن خلدون نفسه يعترف بأنّ الخطّ المسند خطّ منفصل الحروف. وليس الخطّ الذي انتهى إلى قريش على هذه الصّورة[٣].

وقد ذهب بعض المؤرّخين حديثًا ومنهم الأوربيون إلى هذا الرّأي. وخلاصة رأيهم أنّ الخطّ الفينيقيّ تولّدت منه أربعة خطوط هي:

١- اليونانيّ القديم أصل خطوط أوربّا كلّها، والخطّ القبطيّ.

٢- العبريّ القديم، ومنه الخطّ السّامري نسبة إلى سامرة نابلس.

٣- المسند الحِمْيري؛ ومنه الخطّ الحبشي.

٤- الخطّ الآرامي وهو أصل ستّة خطوط: الهندي، الفارسي، الفهلوي، العبري المربّع، التّدمري، السّرياني، النّبطي[٤].

١- ابن خلدون، المقدمة، ص٧٤٥.

٢- جمعة، إبراهيم، قصة الكتابة العربية، المطبعة العالمية، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٨١، ص٦.

٣- جمعة، إبراهيم، قصة الكتابة العربية، ص٧.

٤- ينظر: عبد السلام، أيمن، موسوعة الخط العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٢، ص٤١. و Olivaux, R, p21.

٥- النظرية الحديثة:

يرى إبراهيم جمعة أنّه يكاد يكون اتّفاق على أنّ العرب لم يصيبوا دراية بالكتابة إلا حيث كان لهم بالمدينة اتّصال، وقد كان اتّصالهم بالمدينة نتيجة لانتجاعهم الأطراف الغنيّة المحيطة بشبه الجزيرة في اليمن ووادي الفرات الأوسط وسوريا ونجوع النّبط وحوران. ولذا فالمرجّح أن تكون الكتابة قد وصلت إلى بلاد العرب بسلوك أحد طريقين:

"الطريق الأول "

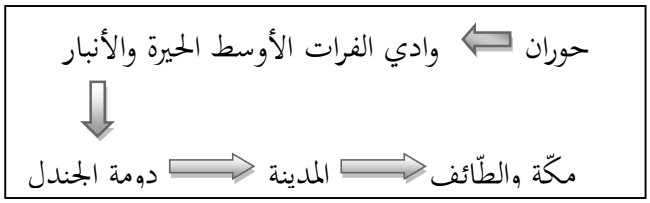

"الطّريق الثّاني"

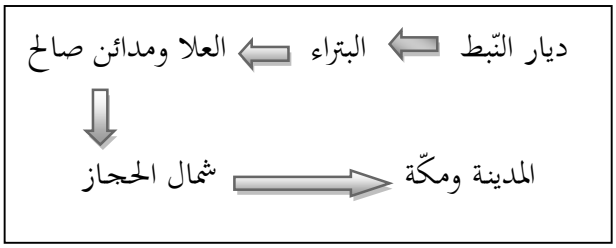

شكل (١): "طرق انتقال الكتابة النّبطيّة إلى العرب"[١]

وسواء كانت رحلة الخطّ من هذا الطّريق أو ذاك، فالثّابت أنّها تمّت بين منتصف ق٣م ونهاية ق٦م، وهو الوقت الذي تمّ فيه تحوّل الخطّ العربي من

١- إعداد الباحثين.

صورته النّبطيّة البحتة إلى صورته العربية المعروفة.[١] كما تثبت ذلك النقوش التي تم العثور عليها، التي يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام، وأبرزها: نقش أم الجمال في حوران، ونقش النمارة، ونقش حران.

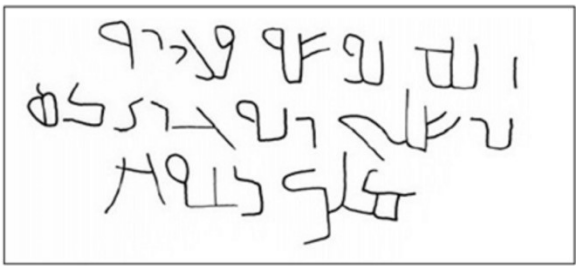

الصورة (١): "نقش أم الجمال (الأول) مؤرخ بين ٢٥٠و ٢٧٠م"[٢]

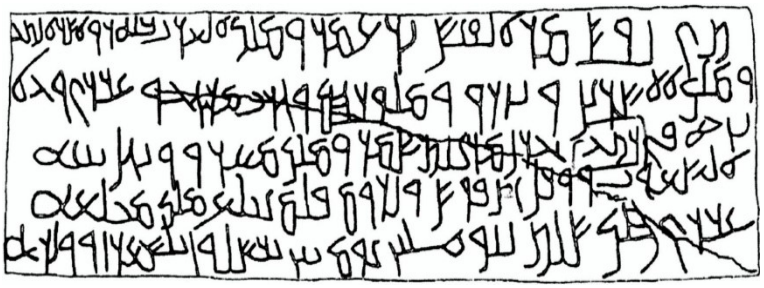

الصورة (٢): "نقش النمارة مؤرخ في ٣٢٨م"[٣]

١- جمعة، إبراهيم، قصة الكتابة العربية، ص١٠ وما بعدها.

٢- عبد السلام، أيمن، موسوعة الخط العربي، ص٤٩. وترجع أهمية هذا النَّقش إلى أنّ ملوك العرب قد أخذت تستعمل القلَم النبط، مما يدلّ على انتشار هذه الكتابة بين العرب قبل (٢٧٠م)، وأنّهم عدلوا عن الكتابات الأخرى كاللحيانية والثمودية والصفويّة. يُنظَر: نامي،خليل يحيى :أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام ، مطبعة بول باربيه (حارة فايد نمرة ٨، عابدين)، القاهرة، ١٩٣٥م، ص٦٩

٣- البياتي، رحلة المصحف الشريف، ص١٥.

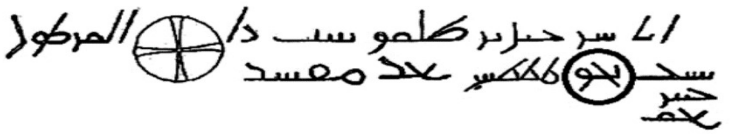

الصورة (٣): "نقش حران، مؤرخ في: ٥٦٨م"[١]

ويمكننا أن نلخص في آخر هذا المبحث رحلة الحروف العربية –مذ كانت صورة عند السومريين[٢] إلى أن أصبحت حرفًا عند الكنعانيين–[٣] إلى أن أخذت الحروف شكلها الحالي، من خلال الشكل الآتي:

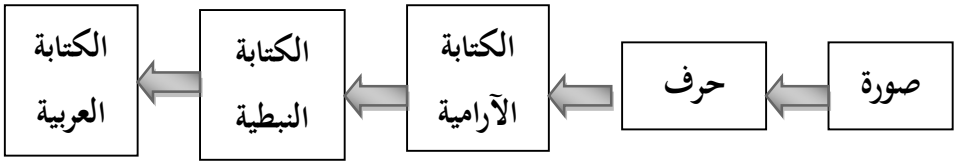

شكل (٢): "رحلة الحرف العربي"[٤]

١– المصدر نفسه، الصفحة نفسها. ووُجِد هذا النقش على حجر فوق باب كنيسة بحرّان، وهو مكتوب بالعربية واليونانية، ومُؤرَّخ سنة ٤٦٣ من سقوط سلع أي في سنة ٥٦٨م (٥٤ ق. هـ) وقد نجح ليتمان في قراءة النقش قراءة صحيحةكاملة: [أ]نا شرحيل بر [ابن] ظلمو [ظالم] بنيت ذا المرطول سنت [سنة]٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعم [بعام]، يُنظر: نامي،خليل يحيى :أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، ص ٩٠، ٩١.

٢– ينظر: دونالد جاكسون، تاريخ الكتابة. ترجمة: محمد علام خضر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧، ص١٢ وما بعدها.

٣– يختلف المؤرخون في أول حضارة ظهرت فيها الصورة، وفي كيفية الانتقال من الصورة إلى الحرف، فقيل: إن الحروف ظهرت عند الفينيقيين، وقيل الكنعانيين، وقيل المصريين القدامى وقيل غير ذلك، ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها. وعبد السلام، أيمن، موسوعة الخط العربي، ص١٣ وما بعدها. ونرى أن سبب الخلاف راجع إلى التقدير الزمني والتأثير والتأثر الناتج عن التداخل بين الحضارات القديمة، وربما كان السبب دواع إيديولوجية.

٤– إعداد الباحثين.

المبحث الثاني

تطور نظام الحروف العربية: النقط والتشكيل

قبل عرض جهود اللغويين العرب في تطوير نظام الكتابة العربية، لا بد من الإشارة إلى أن الدافع إلى ذلك كان الحفاظ على القرآن الكريم من اللَّحن، وهو الدافع الذي أدى إلى ظهور جميع علوم العربية.

أوَّلًا: جهود أبي الأسود الدؤلي:

تكاد تتفق معظم المصادر على أنّ أبا الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ) هو أوّل من وضع نقاط الإعراب، بتوجيه من علي بن أبي طالب ﷺ، أو مدفوعًا من زياد ابن أبيه (ت٥٣هـ)، وذلك بعد تفشّي اللحن واختلاط العرب بغيرهم.

وقد استمدت الحركات تسميتها من طريقة نطق الحرف: فالفتحة من انفتاح الشفتين؛ والكسرة من انكسارهما؛ والضمة من انضمامهما واستدارتهما[١].

وعن دوافع إقدام أبي الأسود على التنقيط أورد أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) قصة كتاب «معاوية ﷺ إلى زياد، يطلب فيه عُبيدَ الله ابنه: فلمّا قدِم عليه كلّمه، فوجده يلحن، فردّه إلى زياد، وكتب إليه كتابًا يلومه فيه، ويقول: أمِثلُ عبيد الله يُضَيَّع؟ فبعث زياد إلى أبي الأسود، فقال: يا أبا الأسود، إنّ هذه الحمراء قد كثُرت، وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئًا يُصلح به الناس كلامهم، ويُعْرِبون به كتاب الله تعالى. فأبى ذلك أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل.

---

١ – ينظر: درار، مكي، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٦، ص٦٢.

فوجّه زياد رجلًا، فقال له: اقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مرّ بك، فاقرأ شيئًا من القرآن، وتعمّد اللّحن فيه. ففعل ذلك. فلمّا مرَّ به أبو الأسود رفع الرجل صوته، فقال: "أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ"[1]. فاستعظم ذلك أبو الأسود، وقال: "عزّ وجه الله أن يبرأ من رسوله". ثم رجع من فوره إلى زياد، فقال: يا هذا، قد أجبتُك إلى ما سألتَ، ورأيتُ أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعث إليَّ ثلاثين رجلًا. فأحضرهم زياد. فاختار منهم أبو الأسود عشرةً. ثمّ لم يزل يختار منهم، حتى اختار رجلًا من عبد القيس؛ فقال: خذ المصحف وصبغًا يخالف لون المداد. فإذا فتحت شفتيَّ فانقط واحدةً فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئًا من هذه الحركات غنّةً فانقُط نقطتين»[2]. وفعل في ذلك من أوّل المصحف إلى آخره.

ثانيا: جهود نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر:

إن الفصاحة والبلاغة لدى العرب فطرة وغريزة غير مكتسبة بالتعلّم، فإذا تكلّموا أصابوا ولم يلحنوا، وإن قرؤوا كانت قراءتهم صحيحة فصيحة، فاللغة لديهم ملكة، ولا تحوجهم سليقتهم اللغوية إلى وضع علامات لتمييز الحروف المتشابهة الصورة كالجيم والحاء والخاء؛ لأنّهم يدركون توجيه الحرف توجيهًا دقيقًا وفق سياق المقام، وقرائن الحال[3].

١- قرأها بكسر لام (رسولِه) على غير وجهها الصحيح. وصحّة الآية: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾، [التوبة: ٣].

٢- الداني، المحكم، ص٣-٤.

٣- ينظر: الكردي، محمد طاهر، تاريخ الخط العربي وآدابه، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٣٩، ص٧٣.

١- الدوافع:

ويشير الداني في كتابه "المحكم" إلى «أنّ الذي دعا السلف –رضي الله عنهم– إلى نقط المصاحف، بعد أن كانت خاليةً من ذلك، وعارية منه وقت رسمها وحين توجيهها إلى الأمصار... ما شاهدوه من أهل عصرهم، –مع قربهم من زمن الفصاحة ومشاهدة أهلها–، من فساد ألسنتهم، واختلاف ألفاظهم، وتغيُّر طباعهم، ودخول اللحن على كثيرٍ من خواصّ الناس وعوامّهم»[١].

وينقل ابن خلكان (ت٦٨١هـ) في ترجمة الحجَّاج: «أن الناس مكثوا يقرؤون في مصحف عثمان ﷺ نيفًا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف؛ وانتشر بالعراق، ففزع الحجَّاج إلى كُتَّابه؛ وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات. **فيقال**[٢]: إن نصر بن عاصم وقيل: يحيى بن يعمر قام بذلك، فوضع النقط وكان مع ذلك أيضًا يقع التصحيف فأحدثوا الإعجام»[٣].

١- الداني، المحكم، ص١٨.

٢- يرى حفني ناصف بأن الإعجام كان موجودًا لدى العرب حتى قبل الإسلام، من الخبر المروي عن ابن عباس أنّ عامر بن جَدَرة هو من وضع الإعجام. ينظر: العاملي، أحمد رضا، رسالة الخط، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٩١٤، ص٢٧. و ناصف، حفني، تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية، مجموعة محاضرات ألقاها بالجامعة المصرية (١٩٠٩-١٩١٠م)، مطبعة الجريدة بسراي البارودي بغيط العدة، د.ط، د.ت، الكتاب الأول، ص٨٨-٨٩، وهامش١، ص٨٩.

٣- أبجد العلوم: القنوجي، محمد صديق خان أبو الطيب، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٩٠.

٢ - تعليل النقط والإعجام:

يذكر لنا أبو عمرو الداني –نقلًا عن الخليل بن أحمد– تعليل مواضع نقط الإعجام، فوق الحرف أو تحته، وأعدادها، يحسُن أن ننقلها هنا لوجاهتها وأهميتها، وذلك في قوله:

«**الألف** ليس عليها شيء من النّقط؛ لأنّها لا تلابسها صورة أخرى. **والباء** تحتها واحدة، **والتاء** فوقها اثنتانِ. **والثاء** ثلاث. **والجيم** تحتها واحدة. **والخاء** فوقها واحدة. **والذال** فوقها واحدة. **والشين** فوقها ثلاث. **والضاد** فوقها واحدة. **والفاء** –إذا وُصِلت– فوقها واحدة، وإذا انفصلت لم تُنقَط؛ لأنّها لا يلابسها شيء من الصور. **والقاف** –إذا وُصِلت– فتَحْتها واحدة، وقد نقطها ناس من فوقها اثنتين، فإذا فُصِلت لم تُنْقَط؛ لأنّ صورتها أعظم من صورة الواو، فاستغنوا بعِظَم صورتها عن النَّقْط. **والكاف** لا تُنقَط، لأنّها أعظم من الدال والذال. **واللام** لا تُنقَط؛ لأنّها لا يشبهها شيء من الحروف، **والميم** لا تُنْقَط أيضًا؛ لأنّها لا تشبه شيئًا من الحروف، وقصتها قصَّة اللام. **والنون** –إذا وصلتَها– فوقها واحدة؛ لأنّها تلتبس بالباء والتاء والثاء، فإذا فُصِلت لم تُنقَط، استغنوا بعِظَم صورتها؛ لأنّ صورتها أعظم من الراء والزاي. **والواو** لا تُنقَط؛ لأنّها أصغر من القاف، فلم تشتبه بشيء من الحروف. **والهاء** لا تنقَط؛ لأنها لا تشبه شيئًا من الحروف، وقصتها قصة الواو. **ولام ألف** حرفان قُرِنا، فليس واحدٌ منهما يُنقَط. **والياء** –إذا وُصِلت– نُقِطَت تحتها اثنتين؛ لئلا تلتبس بما مضى، فإذا فُصِلَت لم تُنقَط»[١].

١– الداني، المحكم، ص٣٥–٣٦.

كما نقل لنا ما استلطفه وحسَّنه من قول بعض العلماء في تعليل وضع النقاط بهذه الكيفية، في قوله:

«اعلم أنّ الباء والتاء والثاء والنون والياء خمسة أحرف متشابهة الصور في الكتابة. فلأجل ذلك احتيج أن يُفرَّقَ بالنقط المختلف بينها. فواخَوْا بين **الباء والنون**، وبين **التاء والياء**. فنقطوا الباء واحدة من تحت، والنون واحدة من فوق، ونقطوا التاء اثنتين من فوق، والياء اثنتين من تحت. وبقيت **الثاء** منفردة، لا أخت لها، فنقطوها ثلاثًا من فوق... ثُمّ جاؤوا إلى **الجيم والحاء والخاء**. وهنّ ثلاثة أحرف متشابهة الصور، ليس في حروف المعجم ما يشبههن. فابتدؤوا بالأولى، وهي الجيم، فنقطوها بواحدة من تحت. واختاروا أن يجعلوا النقطة من تحت لأنّ الجيم مكسورة. وأخلوا الحاء من النقط فرقًا بينها وبين الجيم. وأمّا الخاء فاختاروا لها النقط من فوق؛ لأنّ اللفظ بالخاءِ مفتوح. ثمّ جاؤوا إلى **الدّال والذال**، وهما حرفان متشابهان، فأخلوا الدال من النَّقْط فرقًا بينها وبين أختها، ولأنّ ما قبلها منقوط. ونقطوا الذال واحدةً من فَوْق لأنّ اللفظ بها مفتوح. ثم فعلوا **بالراء والزاي** كما فعلوا في الدال والذال»[١].

وأضاف: «ثمَّ جاؤوا إلى **السِّين والشين** –وهما حرفان مشتبهان– فأخلوا السّين –وهو الحرف الأول– من النقط فرقًا بينها وبين أختها. ونقطوا الشين بثلاث من فوق؛ لأنه حرف واحد، صورته صورة ثلاثة أحرف. واختاروا النقط لها من فوق، ولفظها مكسور؛ لأنها من بين الحروف المزدوجة كثيرة النقط، مخالفةً في ذلك سائر المنقوط من المزدوج والمنفرد، إلا الثَّاء، فإن علتها مُخالفة لعلَّة الشين.

١– المصدر نفسه، ص٣٧–٣٨.

ثمّ جاؤوا إلى **الصّاد والضّاد**، ففعلوا فيهما كما فعلوا في الدّال والذال؛ إذ العلّة فيهما وفي الدّال والذال واحدة. وفعلوا في **الطّاء والظاء والعين والغين** كفعلهم في الدّال والذال أيضًا. والعلّة في الكل علّة واحدة. ثمّ جاؤوا إلى **الفاء والقاف**[1]، وهما حرفان، في الانفراد تختلف صورتهما، وفي أول الكلام ووسطه يشتبهان. فإذا وقع أحدهما في آخر كلمة، متّصلًا بما قبله، عاد إلى صورته في الانفراد. فلمّا اختلفت صورتهما في موضع، واتّفقت في موضع اختاروا لهما جميعًا النقط. وخولف بين نقطهما؛ ليُفَرَّق به بينهما. فنقطوا الفاء واحدةً من فوق، ونقطوا القاف اثنتين من فوق. وجعلوا نقط الجميع من فوق؛ لأنّ مخرج لفظهما مفتوح»[2].

ويتابع أبو عمرو الداني سرد علل نقط باقي الحروف، فيقول: «ثمَّ جاؤوا إلى **الكاف**، فوجدوا صورتها مفردةً، لا تشتبه بصورة حرف من حروف المعجم. فأخلوه من النقط؛ لانفراده بصورته؛ لأنه يتَّصل بأوائل الكلام وأوساطه وأواخره، لا ينفرد بذاته إلا في أواخر الكلام، ولا يقع في أوائل الكلام كوقوع الألف، وهو في انفراده بشكله مثلُه، فأجروه في الإخلاء من النقط مجراه. ثمّ جاؤوا إلى **اللّام**. وهو حرف منفرد الشكل، علَّتُه علّة الكاف. فأجروه في الإخلاء من النقط مجرى الألف والكاف. ثم جاؤوا إلى **الميم**، وهو حرف منفرد، لا شبيه له، علّته علّة الكاف واللّام. فأخلوه من النقط وأجروه مجراهما»[3].

١- «أهل المشرق ينقطون الفاء بواحدة من فوقها، والقاف باثنتين من فوقها. وأهل المغرب ينقطون الفاء بواحدة من تحتها، القاف بواحدة من فوقها، وكلهم أراد الفرق بينهما بذلك»، المصدر نفسه، ص٣٧.

٢- المصدر نفسه، ص٣٨.

٣- المصدر نفسه، ص٣٨-٣٩.

وأنهى بقية الحروف بقوله: «ثمّ جاؤوا إلى **الواو**، وهو حرف يشبه القاف في الانفراد، وفي أواخر الكلام. ويخالف شبهه في أول الكلام ووسطه. فكانت موافقته للقاف في المواضع التي تخالف القافُ فيها الفاءَ لا غير. فأخلوه من النقط إذ كان شبهه في الانفراد وفي أواخر الكلام، وهو القاف، منقوطًا.

ثمَّ جاؤوا إلى **الهاء**، وهو حرف منفرد، لا شبه له في حروف المعجم. له في الكتابة صورتان مختلفتان، في ابتداء الكلام وفي وسطه مشقوق. وفي آخره مدوَّر غير مشقوق. فأخلوه من النقط لخلو شبهه، واختلاف صورته. وجعلوا الخط الذي يُشَقُّ به –إذا وقع في أوائل الكلام ووسطه– عوضًا من النقط عند اختلاف الصّورة»[١].

٣- علامة الشَّدة:

واخترع أهل المدينة للحرف المشدَّد علامةً على شكل قوس طرفاه للأعلى، يوضع فوق الحرف المفتوح، وتحت المكسور، وعلى شمال المضموم، وكانوا يضعون نقطة الفتحة في داخل القوس، ونقطة الكسرة تحت حدبته، ونقطة الضمة على شماله، ثم استغنوا عن النقطة، وقلبوا القوس مع الكسرة والضمة، فصار الحرف المشدد المفتوح هكذا ـّ والمكسور ـِّ هكذا والمضموم هكذا ـُّ.[٢]

١- المصدر نفسه، ص٣٩.

٢- ناصف، حفني، تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربيّة، ص٨٦. وقد لحق هذا الابتكار تطويرًا على يد الخليل بن أحمد كما سيأتي ذكره.

ثالثًا: جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي:

ودرءًا لزيادة النقاط في الكتابة واختلاط الألوان وتعددها، رأى الخليل بن أحمد الفراهيدي أنّ الكتابةَ بحاجة ماسّة إلى خطوة إصلاحية ثالثة، فابتكر علامات للضبط وهي أبعاض حروف مصغَّرة الصورة، فوضع للفتحة ألفًا صغيرة مبطوحةً (أو مضطجعةً) فوق الحرف، وللكسرة رأس ياءٍ صغيرة راجعةٍ تحت الحرف، وللضمّة واوًا صغيرةً فوق الحرف، وتُكرَّر العلامةُ مع التنوين رفعًا ونصبًا وجرًّا، ووضع للشدّة راس شينٍ من كلمة (شديد)، وللسكون رأس خاء بلا نُقط من كلمة (خفيف)، وللهمزة رأس عين لقرب مخرجها من مخرج العين، ولألِف الوصل رأس صادٍ، وللمدّ ميم صغيرة مع جزء من الدال (مد)، فكان مجموع العلامات التي وضعها الخليل ثماني علامات (الفتحة، والضمة، والكسرة، والسكون، والشدّة والمدّة والصلة والهمزة)، وصورها: (ـَ ، ـُ ، ـِ ، ـْ ، ـّ ، ~ ، صـ ، ء)[1] إضافة إلى تكرار علامة الحركة عند التنوين. كما وضع علامَتي: الرَّوْم والإشمام[2].

ويختلف المغاربة في وضع الحركات مع الشدّة عن المشارقة، فالمغاربة يضعون الضمة والفتحة فوق الحرف وتحت الشدّة، فتبدو الشدَّة والفتحة عندهم

١- المرجع نفسه، ص٩٦-٩٧.

٢- ينظر: الداني، المحكم، ص٦، وقصة النقط والشكل في المصحف الشريف، ص٩٦. و**الرَّوْم** [Rawm]: هو الإتيان بثلثي الحركة بصوتي خفِيّ يسمعه القريب دون البعيد، ويكون عند الوقف. ينظر: الحمزاوي، الحمزاوي، محمد رشاد المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية (معجم عربي أعجمي وأعجمي عربي)، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، ١٩٨٧، ص٧٦. و**الإشمام**: ضمُّ الشفتين -من غير إطباق لهما- بعد إسكان الحرف كمن ينطق بالضَّمّة، فهو يُرى ولا يُسمع. ينظر المصدر نفسه، ص٨٨.

كالشدّة والكسرة عند المشارقة، إذ يضع المشارقة الفتحة فوق الشدَّة والجميع فوق الحرف، وكذا يضعون الشدّة وتحتها الكسرة والجميع فوق الحرف، وقد يلتبس ذلك على بعضٍ(١).

وهكذا فإن الجهود التي بذلها اللغويون في تطوير الكتابة العربية قد حققت الغاية المنشودة؛ بحيث يمكننا القول بأن ما طرأ على الكتابة العربية من تطور على مستوى النقط والحركات الإعرابية قد أضفى على نظامها انسجامًا منقطع النظير، جعلها تتميز عن أنظمة بقية الكتابات البشرية الأخرى، وهي سمة تنضاف إلى سمات الحروف العربية الصوتية، من حيث مخارجها خاصة، وهو ما نتناوله في المبحث الآتي.

بين الكتابة والخط:

يكاد مفهوم الكتابة أن يقتصر على عملية جمع الحروف في كلمات وجُمَل، أمّا الخطّ فيشكِّلُ الصورة الجماليةُ للكتابة من حيث رسمُ الحروف وفق المقاييس والموازين الخطيَّة؛ فالكتابة الخطيّةُ فَنْ جمالي عمليّ تطبيقي، أمّا الكتابة الإنشائيةُ فجمالياتُها ليست في رَسْم الحروف والكلمات وإنّما في الأساليب والبلاغيات.

وقد نشأتْ – مِنْ قديمٍ– خُطوط عديدة، وتعددتْ تسمياتها تبعًا للحجم، أو أسماء الأماكن، مدنٍ وبلادٍ، أو نسبةً لخطاطين، أو باعتبار شكلها الفنِّيّ، ولم يعُد مُشتهرًا من أنواع الخطوط العديدة التي تجاوزت الثلاثين خَطًّا، سوى ستّة أو سبعة

١– الهوريني، نصر بن نصر بن يونس أبو الوفاء، المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية. تح: طه عبد المقصود، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص٤٠٧. وقد كان هذا الحال في القرون الماضية، أما في عصرنا فإن وضع الشدة مع الحركات موحد بين كل مستعملي الكتابة العربية.

خطوط رئيسة، هي : الكوفي والنسخ والرقعة والفارسي والثُّلُث بنوعيه والتعليق الفارسي، والديواني بنوعيه، والإجازة[1].

١- ومما جاءت تسميته باعتبار المكان: الخطوط؛ الكوفي والحجازي، والمغربي، والأندلسي، والقيرواني والفاسي، .... إلخ، ومما جاءت تسميته نسبة لخطاطين: الخط الياقوتي(ياقوت المستعصمي)، والغِزلاني (غزلان بك، وطريقته في الديواني)، ومما كان باعتبار الوظيفة: السياقت، والهيمايوني، والمصحفي...إلخ، ومما كان باعتبار حجم الورق: الرّقاع والطومار، ومما كان باعتبار حجم رأس القلم : الجليل، والثُّلُثين، والثُّلُث، والغباري، ومما كان باعتبار درجة التجويد: المُحقَّق، والمحرَّر ، والبسيط، ...إلخ، ومما كان باعتبار التجويد الهندسي: المعماري، الهندسي والمضفَّر، ومما كان باعتبار الزخرفة: الشجري، والمورّق والمرصّع. يُنظَر: سعد، د.فاروق، رسالة في الخط وبري القلم لابن الصائغ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص ٧١ وما بعدها، و القيسي، ناهض عبدالرزاق ، تاريخ الخط العربي، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ =٢٠٠٨م، ص ٩٤ ومابعدها، ويعقوب، إميل، الخط العربي، نشأته، تطوره، مشكلاته، ودعوات إصلاحه، جروس برس، طرابلس، لبنان، (د-ط)،(د-ت)، ص ٤١ وما بعدها

المبحث الثالث

مخارج الحروف العربية

أوَّلًا – تعريف المخرج:

١– **لغةً:** محل الخروج.

٢– **اصطلاحًا:** المقصود بمخرج الصوت: «موضع ينحبس عنده الهواء، أو يضيق مجراه عند النطق بالصوت، مثل: الشَّفتين ينحبس الهواء بانطباقهما عند النطق بالباء، ومثل طرف اللسان بأصول الثنايا؛ فيضيق مجرى الهواء عند النطق بالسين والزاي ونحوهما»[١].

ثانيًا – مخارج الحروف العربية:

يعدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي من حدد مخارج الحروف، فكان يفتح فمه بالألف ثم يُظهِر الحرفَ. نحو: ابْ، اتْ، احْ، اعْ، اغْ[٢]، فوجد "العين" أدخَلُ الحروف في الحلق، فبدأ بها، ثمّ ما قرُب منها، ثم الأرفع فالأرفع، وصولًا إلى الميم في آخرها[٣].

ثم رتَّبها تلميذه سيبويه، فوافق في بعضه أستاذه، وخالفه في مواضع، فمما خالفه فيه عدد المخارج؛ إذ جعلها الخليل (١٧) مخرجًا، وعدَّها سيبويه (١٦)

١– الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة، ص٥٨.

٢– الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. تح: مهدي المخزومي وآخر، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١/ ٤٧.

٣– ينظر: الطيان، محمد حسان، علم الأصوات عند العرب، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، سورية،ع٤، أكتوبر ١٩٩٤، ص٧٨٠. وشطناوي، منير، وحسين العظامات، المخارج النطقية للأصوات اللغوية في مدرسة التقليبات الصوتية المعجمية، مجلة جامعة دمشق، مج ٢٤، ع: ٣، ٤، ٢٠٠٨، ص٣٠٥ وما بعدها.

مخرجًا، مع أنَّهما متّفقان في عدد الحروف، كما هي عند كثير من اللغويين العرب، تبدأ في ترتيبها بالألِف وتنتهي بالياء، كما هو موضح في الجدول الآتي:

المخارج عند الخليل[1]	ترتيب الخليل	الحروف عند الخليل	المخارج حسب سيبويه	ترتيب سيبويه	ترتيب سيبويه[2]
الحلقيّة	١	العين–الحاء	أقصى الحَلق	١	الهمزة–الهاء–الألف
	٢	الهاء	وسط الحلق	٢	العين–الحاء
	٣	الخاء–الغين	أدنى الحلق	٣	الغين–الخاء
اللهوية	٤	القاف	أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى	٤	القاف
	٥	الكاف	أقصى اللسان (أسفل)	٥	الكاف
الشجريَّة	٦	الجيم–الشين	وسط اللسان وما بين وسط الحنك الأعلى	٦	الجيم–الشين–الياء
	٧	الضاد	حافّة اللسان وما يليها من الأضراس	٧	الضاد
الأسليّة	٨	الصاد–السين–الزاي	من أدنى حافة اللسان لمنتهى طرفه، وبين ما يليها من الحنك الأعلى	٨	اللام
النطعيّة	٩	الطاء–الدال–التاء	من أدنى حافة اللسان لمنتهى طرفه، وبين ما يليها من الحنك	٩	النون

١– الفراهيدي، كتاب العين، ١/ ٥٧–٥٨.

٢– ينظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه. تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨، ٤/ ٤٣١–٤٣٣

			الأعلى وما فويق الثنايا		
اللثويّة	١٠	الظاء–الذال–الثاء	من مخرج النون غير أنه أدخلُ في ظهر اللسان قليلا	١٠	الراء
الذلقيّة	١١	الراء	من طرف اللسان وأصول الثنايا	١١	الطاء–الدال –التاء
	١٢	اللام	طرف اللسان وفويق الثنايا	١٢	الزاي–السين–الصاد
	١٣	النون	طرف اللسان وأطراف الثنايا	١٣	الظاء–الذال–الثاء
الشفويّة	١٤	الفاء	باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا	١٤	الفاء
	١٥	الباء–الميم	ما بين الشفتين	١٥	الباء–الميم–الواو
الخيشوم	١٦	الغُنَّة (النون الساكنة)	الخيشوم	١٦	النون الخفيفة (الساكنة)
الجوف	١٧	(واو–ألف–ياء) مدِّيَّة	----	-- --	----

جدول (١) يوضح: "مخارج الحروف وترتيبها عند الخليل وسيبويه"

ونلمح في الجدول أنّ سيبويه اتّفق مع الخليل في بدايات المخارج ونهايتها، فهما اتفقا في المخارج من (٣–٧)، وكذا في المخارج من (١٤–١٦)، واختلفا في ترتيب المخارج بعد (الضاد)؛ حيث جعل الخليل مخرج الحروف الأسلية (ص، ز، س) تاليا للضاد، بينما جعل سيبويه الحروف الذلقية (ل، ن، ر) هي التالية لمخرج الضاد، كما نلمخ اختلافهما في ترتيب الحروف داخل المخرج الواحد؛ فمثلًا:

رَتب الخليل الحروف الأسليّة (ص، س، ز)، ورتّبها سيبويه (ز، س، ص)، واقتصر الخليل في الحروف الشفوية على الباء والميم، بينما أضاف سيبويه إليهما (الواو)، ورتب الخليل حروف المخرج ٣ من مخارج الحلق (خ، غ) بينما رتّبها سيبويه (غ، خ)،كما خالفه في ترتيب حروف ١و٢ مخارج الحلق أيضًا، إضافة إلى أنّ سيبويه أرجع الهمزة إلى موضعها مع حروف الحلق.... إلخ.

ومع الجهود العظيمة للخليل وسيبويه فيما يتعلّق بضبط مخارج الحروف (الأصوات)، نجد جمعًا غفيرًا من اللغويين والباحثين يرجّحون مذهب سيبويه في ترتيب المخارج وعددها، وعلى رأسهم ابن جنّي (ت٣٩٥هـ)[١]، وقد جاءت جهود العلماء التالية معتمدةً على ما قدّمه الخليل وسيبويه من جهود عظيمة في ترتيب مخارج الأصوات وضمّ الحروف في مجموعات إلى مخرج تقريبي واحد، فاختلفت أعداد المخارج[٢] بناءً على ذلك، وإلا، فإنّ لكلّ حرف مخرجًا لا يتطابق مع غيره.

١- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ١/ ٥٩.

٢- ينظر: العطية، خليل، في البحث الصوتي عند العرب، الموسوعة الصغيرة (١٢٤)، منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣، ص٢٤ وما بعدها.

خاتمة

من خلال ما سبق ذكره يمكننا أن نوجز ما انتهى إليه البحث في النقاط الآتية:

- ارتبط مفهوم الحروف العربية بمفهوم الخط العربي لتشكُّله منها، وقد تناول الموضوع عديد من المصادر قديمًا وحديثًا؛ لأهمِّيته التاريخية واللغوية والاجتماعية والدينية والفنية الجمالية.
- إن الحروف العربية مرت –في ظهورها ونشأتها– بمراحل عديدة مذ كانت الكتابة صورةً فحرفًا، ثم تحوَّرت إلى الكتابة الآرامية، فالنَّبطية، التي أنجبت الحروف العربية.
- إن الحروف الهجائية العربية رُتِّبت أبجديًّا وفق نظام (أبجد)، فألفبائيًّا على يد نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، فصوتيًّا على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، واختلف المشارقة والمغاربة في ذلك، إلَّا أنَّ المستعمل الشائع اليوم هو الترتيب المشرقي.
- بذل اللّغويّون العرب جهودًا عظيمة في تطوير نظام الكتابة وبنيتها؛ من حيث نقط الحروف وتشكيلها، فوضع نقاط الحركات الإعرابية أبو الأسود الدؤلي، واستكمل إصلاح نظام الكتابة نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، بنقاط الإعجام، ثم طوَّر الخليل بن أحمد الفراهيدي رموز الحركات على لتكون على صورة أبعاض الحروف بديلاً عن نقاطِ أبي الأسود.
- مخارج الحروف العربية سبعة عشر مخرجًا عند الخليل وستة عشر عند سيبويه، تتوزع على كل أحياز جهاز النطق، بدءًا من أقصى الحلق، وانتهاءً بالشفتين.

المصادر والمراجع

- ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم، **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد: في أنواع العلوم**. تح: عبد المنعم محمد عمر، مراجعة: أحمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- البابا، كامل، **روح الخط العربي**، دار لبنان للطباعة والنشر، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٣
- البلاذري، أحمد بن يحيى، **فتوح البلدان**، تح: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٨٧
- البياتي، حسن قاسم حبش، **رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد**، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٣
- التازي، عبد الهادي، **ترتيب الحروف الأبجدية بين المشارقة والمغاربة**، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ج٥٦، بحوث مؤتمر الدورة ٥١.
- جمعة، إبراهيم، **قصة الكتابة العربية**، المطبعة العالمية، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٨١
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، **سر صناعة الإعراب**، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١
- الحمزاوي، محمد رشاد، **المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية** (معجم عربي أعجمي وأعجمي عربي)، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، ١٩٨٧.
- ابن خلدون، عبد الرّحمن، **المقدمة**، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩، مج١.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، **المحكم في نقط المصاحف**. تح: عِزّة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبعة مديرية إحياء التراث القديم،

دمشق، د.ط، ١٩٦٠.

- درار، مكي، **المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية**، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٦.
- دونالد جاكسون، **تاريخ الكتابة**. ترجمة: محمد علام خضر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧.
- الزّرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**. تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ج١.
- سعد، د.فاروق، **رسالة في الخط وبري القلم لابن الصائغ**، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
- سيبويه، عمرو بن عثمان، **كتاب سيبويه**. تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨.
- شريفي، محمد، **خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من ق٤ إلى ١٠هـ**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الرغاية، الجزائر، د.ط، ١٩٨٢.
- شطناوي، منير، وحسين العظامات، **المخارج النطقية للأصوات اللغوية في مدرسة التقليبات الصوتية المعجمية**، مجلة جامعة دمشق، مج ٢٤، ع: ٣، ٤، ٢٠٠٨.
- الصّولي، أبو بكر، **أدب الكتّاب**. تصحيح وتعليق: محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، مصر، د.ط، د.ت.
- الطيان، محمد حسان، **علم الأصوات عند العرب**، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ع٤، أكتوبر ١٩٩٤.
- العاملي، أحمد رضا، **رسالة الخط**، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، د.ط، ١٩١٤.
- ابن عبد ربّه، أحمد، **العقد الفريد**، مطبعة لجنة التأليف والتّرجمة والنّشر،

القاهرة، د.ط، ١٩٤٤.

- عبد السلام، أيمن، **موسوعة الخط العربي**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٢.
- العطية، خليل، **في البحث الصوتي عند العرب**، الموسوعة الصغيرة (١٢٤)، منشورات دار الجاحظ، بغداد، د.ط، ١٩٨٣.
- ابن فارس، أحمد، **الصّاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها**. تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف للطّباعة والنّشر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**. تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، د.ت، ج١.
- القلقشندي، أحمد بن علي أبو العباس، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، د.ط، د.ت، ج٣.
- القنوجي، محمد صديق خان أبو الطيب، **أبجد العلوم**، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- القيسي، ناهض عبدالرزاق ، **تاريخ الخط العربي**، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ =٢٠٠٨م.
- الكردي، محمد طاهر، **تاريخ الخط العربي وآدابه**، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٣٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
- ناصف، حفني، **تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية**، مجموعة محاضرات ألقاها بالجامعة المصرية (١٩٠٩-١٩١٠م)، مطبعة الجريدة بسراي البارودي بغيط

العدة، د.ط، د.ت، الكتاب الأول.

- نامي،خليل يحيى :**أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام** ، مطبعة بول باربيه (حارة فايد نمرة ٨، عابدين)، القاهرة، ١٩٣٥م.
- النحاس، أحمد بن محمد أبو جعفر، **عمدة الكتّاب**. تح: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، والجفان والجابي للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٤.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- الهوريني، نصر بن نصر بن يونس أبو الوفاء، **المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية**. تح: طه عبد المقصود، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥.
- يعقوب، إيميل، **الخط العربي: نشأته تطوره، مشكلاته، دعوات إصلاحه**، جروس برس طرابلس، لبنان، د.ط، د.ت.

المراجع الأجنبية:

- Olivaux, R, Pédagogie de l’écriture et graphothérapie, Préface de Peugeot, J. Masson, Paris, Milan, Barcelone, Bonn. 2ème tirage, 1991.
- Peugeot, J, La connaissance de l’enfant par l’écriture: L’approche graphologique des difficultés de l’enfant. édt Privat, France, 1991.

فهـرس المـوضـوعـات

م	الموضوع	الصفحة
١-	**ملخص البحث** :.....	٦١٩
٢-	**المقـدمــة** :.....	٦٢١
٣-	**المبحث الأول:** الحروف العربية: تعريفها، وتاريخها :.....	٦٢٣
٤-	**المبحــث الثــاني:** تطـور نظـام الحـروف العربيـة: الـنقط والتشكيل :.....	٦٣٥
٥-	**المبحث الثالث:** مخارج الحروف العربية :.....	٦٤٥
٦-	**الخـاتمة** :.....	٦٤٩
٧-	**فهرس المصادر والمراجع** :.....	٦٥٠
٨-	**فهرس الموضوعات** :.....	٦٥٤